قبر شاعر

الى روح الشاعر فوزي المعلوف

[نظمت على أثر مطالعة الشاعر لقصيدة « على بساط الريح »]

رنَّتْ عليهِ مُشوراتُ الغُصُونْ وحَفَّهُ العُشْبُ بنوَّارهِ
ذاكَ قبرٌ لم يشِدْهُ المَينونْ بَلْ شَادَهُ الشعرُ بآثارهِ
بناه من لَبِنات الفنونْ وزانَهُ المجدُ بأحجارهِ
أَلقَى بهِ الشَّاعرُ عِبءَ الشُّجونْ وأَودَعَ القلبَ بأسرارهِ

وجاورتهُ نخلةٌ باسِقَهْ تَحْنُو في الوادي إلى جَنْبِهِ
كأنها الثاكلةُ الوامِقَهْ تَقْضِي مَدى العمرِ إلى قُربِهِ
تَئِنُّ فيها النسمةُ الخافِقَهْ كأنما تَخفقُ عن قلبِهِ
وترسلُ الأغنيةَ الشائِقَهْ هَتُوفَةً ظَلَّتْ على حُبِّهِ

ويُقبلُ الفجرُ الوَضيءُ الأهاب يهفو على القبرِ بأنسوائهِ
كأنما يَذكرُ تحتَ التراب لؤلؤةً تزري بلألائهِ
إستقبلَ منها الموتُ ذاكَ الشهابْ غيرَ شعاعٍ في الدجى تائهِ
يظلُّ يهفو فوقَ تلكَ الشعابِ يطوفُ باليتبوعِ من مائهِ

ويذهبُ النورُ ويأتي الظلامْ وتبزغُ الانجمُ في نسقِهِ
حيرى تجوبُ الليلَ كالمستهامْ أسهرهُ النارُ من شوقهِ
تبحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجامْ هوى بهِ المقدورُ عن أفقهِ
أخٌ لها في الأرضِ ردَّ المُتامْ وآثرَ الغربَ على شرقهِ

ويطلقُ الطيرُ نشيدَ الصباحْ بنغمةٍ تنبئُ عن حزنهِ
يَمُدُّ فوقَ القبرِ منهُ الجناحْ ويرسلُ المنقارَ في ركنهِ
أفضى إلى الراقدِ فيهِ وباحْ بأنَّهُ الملهمُ من فنهِ
فمِنْ قوافيهِ احتمدَّ النواحْ ومن أغانيهِ صَدَى لحنهِ

وحينَ تمضي نَسَماتُ الخريفْ وتملأُ الارضَ رياحُ الشتاءْ
ويقبلَ الليلُ الرهيبُ المخيفْ فلا ترى نجماً ينيرُ السماءْ
هناكَ لا ظلٌّ عليهِ ورِيفْ يهفو ولا طيرٌ يثيرُ الغناءْ
يظللُ الارضَ الظلامُ الكثيفْ كأنها تُمسي بوادي الفناءْ

يا شاعراً ما جمعتني بهِ كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارْ
لكنَّهُ الشرقُ وفي حُبِّهِ ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارْ
سكبتَ من شجوكَ في قلبهِ ومن مآقيكَ الدموعَ الغزارْ
فوَدَّ أنْ لو ضمَّتَ في تربهِ ليَشفيَ النفسَ بهذا الجوارْ

صَوِّرْ لي القبرَ الذي تَنْزِلُ تَخَيُّلُ الشعرِ ووحيُ الشعورْ
خِفْتُ للقبرِ مما يَجْعَلُ من صُوَرِ الدنيا الفُتونِ الغرورْ
قُلْ لي بحقِّ الموتِ ما يفعلُ بالشاعرِ الموتُ وتلك القبورْ
وهل وراءَ الموتِ ما نجهلُ من عالمِ الرُّجعى ويومِ النُّشورْ

قَدْ رَاعَني موتُكَ يا شاعري في مَيْعَةِ العمرِ وفَجْرِ الشبابْ
وهزَّني ما فاضَ من خاطرٍ كانَ ينابيعَ البيانِ العِذَابْ
ونَفَثَاتُ القَلَمِ السَّاحرِ في جَوِّكَ الآنَ وطيِّ السحابْ
ورقةٍ بالكوكبِ الحائرِ رأى بساطَ الريحِ يَدْنو فَهَابْ

لكنَّهُ شِعْرُكَ لَمَّا يَزَلْ يُرَدِّدُ الكونُ أناشيدَهُ
شعرٌ كصوتِ الوحيِ أنَّى نَزَلْ أرقَصَ في الرَّوْضِ أمَالِيدَهُ
وَعَلَّمَ الطيرَ الهَوَى والغَزَلْ فأسْمَعَ الزَّهرَ أشَارِيدَهُ
وغَنَّتِ الريحُ به في الجَبَلْ فَرَّكَتْ مِنْهُ جَلامِيدَهُ

يا قبرُ لم تُبْصِرْكَ عيني ولا رَأَتْكَ إلاَّ في ثنايا الخَيالْ
ملأْتَ بالرَّوعِ فؤاداً خَلا إلاَّ من الحبِّ ونُورِ الجَمَالْ
أوْحَيْتَ لي سرَّ الرُّدى فانجلى من عينيَ الشكُّ وليلُ الضَّلالْ
غداً ستطوى القلبَ أيدي البلى ويَقْنُصُ النَّجمَ عُقَابُ اللَّيالْ

وهكذا تَمْضي لَيَالي الحَياهْ والقبرُ ما زالَ على حالِهِ
دُنْيَا مِنَ الوهمِ ودهرٌ تَرَاهْ يُغَرِّرُ القلبَ بآمالِهِ
يَسْخَرُ من مبتسماتِ الشفاهْ وجارفِ الدمعِ وسَيَّالِهِ
دهرٌ على العالمِ دارتْ رَحَاهْ فلم تَدَعْ رسماً لأطلالِهِ

علي محمود طه المهندس